مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية
مجلد: 15 عدد 01 جوان 2024
ISSN: 2170-1822,
EISSN: 2600-6189
العنوان:جوانب من التواصل الصوفي بين الجزائر والمغرب الأقصى خلال عهد الدايات (1671-1830) (تبادل الإجازات والزيارات أنموذجين)
ص.ص 277-295.

جوانب من التواصل الصوفي بين الجزائر والمغرب الأقصى خلال عهد الدايات (1671- 1830م) (تبادل الإجازات والزيارات أنموذجين)

محمد الصالح طيباوي[1]، صالح بوسليم[2]

جامعة غرداية، [1]salahtaibaoui83@gmail.com.

جامعة غرداية، [2]salah_ghar@hotmail.fr.

تاريخ الإرسال: 27/ 03/ 2023 ؛ تاريخ القبول: 29/ 11/ 2023

Aspects from Sufi communication between Algeria and Morocco Far during the era of Daiyat (1671-1830AD) (Exchanging Ijazat and visits are two models)

Abstract: This paper seeks to highlight aspects from Sufi communication between Algeria and Morocco Far during the era of the Diyat of Algeria, And from their contemporary from the Sultans of the Alawites Morocco .

Where the Sufi institutions contributed materially and spiritually to the continuation of the links between Algeria and Morocco Far during this period, Despite the political differences between the rulers of the two countries, the Sufi communication remained existing between them. Rather, it has become an effective and fruitful engine for cultural and social exchange between them.

And that is through the social communication of the elders and the murids of these Sufi institutions by exchanging visits and correspondence, As well as activating the cultural ties between the two countries through the exchange of Ijazat and Sufis Assanid between the mystics of the two countries .

Keywords: Sufi communication ; Algeria ; Morocco Far ; Sufi Ijazat ; Sufi visits

الملخص:

تسعى هذه الورقة البحثية إلى إبراز جوانب من التواصل الصوفي للطرق الصوفية بين الجزائر والمغرب الأقصى خلال عهد دايات الجزائر، ومن عاصرهم من سلاطين المغرب العلويين، إذ أسهمت الطرق الصوفية إسهاما ماديا وروحيا في استمرار الصلات بين الجزائر والمغرب الأقصى خلال هذه الفترة، بالرغم من الخلافات السياسية بين حكام البلدين، إلا أن التواصل الصوفي ظل قائما بينهما، بل وأصبح بمثابة المحرك الفعال والمثمر للتبادل الثقافي والاجتماعي بينهما، وذلك من خلال التواصل الاجتماعي لشيوخ ومريدي هذه الطرق الصوفية عن طريق تبادل الزيارات والمراسلات، وكذا تنشيط الروابط الثقافية بين البلدين عن طريق تبادل الإجازات والأسانيد الصوفية بين متصوفة البلدين.

الكلمات المفتاحية: التواصل الصوفي؛ الجزائر؛ المغرب الأقصى؛ الإجازات الصوفية ؛ الزيارات الصوفية.

مقدمة:

اتسم العصر الحديث ببلاد المغارب بانتشار ظاهرة التصوف، وسيطرتها على توجيه الحياة الدينية والاجتماعية والثقافية للمجتمع المغاربي، نظراً لتأثير الفكر الصوفي فيه، والذي تأثر بدوره بانتشار

الطرق الصوفية في كلا البلدين، وتتركز إشكالية هذا المقال بالأساس في السؤال الأتي: فيما تتمثل ملامح التواصل الصوفي للطرق الصوفية بين الجزائر والمغرب الأقصى خلال عهد الدايات ؟

وقد قادنا هذا الإشكال إلى طرح بعض التساؤلات الفرعية نوجزها فيما يلي : ما هي أبرز مظاهر التواصل الصوفي بين الجزائر والمغرب الأقصى خلال عهد الدايات ؟ وما هي أبرز الطرق الصوفية التي ساهمت في تعزيز التواصل الصوفي بين البلدين؟ وهل كان لتبادل الإجازات والزيارات الصوفية أثر في توطيد وتدعيم الروابط الصوفية بين الجزائر والمغرب الأقصى خلال هذه الفترة ؟

ساهم التواصل الصوفي للطرق الصوفية بين الجزائر والمغرب الأقصى خلال عهد دايات الجزائر(1671- 1830م)، ومن عاصرهم من سلاطين المغرب العلويين؛ إسهاما روحيا في استمرار وتمتين الصلات الثقافية والاجتماعية بين البلدين، من خلال التواصل الاجتماعي بين الشيوخ والمريدين والأتباع في كلا البلدين، وذلك عن طريق تبادل الزيارات وتنشيط الروابط الاجتماعية بينهم، وكذا تنشيط الروابط الثقافية بين البلدين من خلال تبادل الإجازات الصوفية، وسندرس في هذا المقال نموذجين للتواصل الصوفي بين الجزائر والمغرب الأقصى أحدهما ثقافي والأخر اجتماعي؛ وذلك من خلال:

1- تبادل الإجازات الصوفية بين متصوفة البلدين:

الإجازة الصوفية هي وسيلة من وسائل الأخذ، وهي أن يأذن شيخ إحدى الطرق الصوفية لمريديها بالخلافة، أو بالتاج، أو أن يأذن له في تلقين أورادها للمريدين، أو في التربية والتعليم والإرشاد، وفق تعاليم تلك الطريقة(لزغم فوزية، 2010: 16)، وقد كان شيوخ التصوف يجيزون طلبتهم الذين يصبحون مقدمين بعد الملازمة والاطمئنان إلى جدارتهم في تمثيل طريقتهم(سعد الله أبو القاسم، 1998: 55)، وتكون الإجازة الصوفية بأشكال مختلفة، شفوية وكتابية، عامة وخاصة، نثرية

ونظمية، وتتم كذلك بطرق التصوف؛ مثل تشبيك الأيدي، والمصافحة، وأخذ السبحة، والضيافة، ولبس الخرقة (سعد الله أبو القاسم، 1998: 41).

وقد أصبحت الإجازة الصوفية تمنح بدون شروط الحضور والملازمة والجدارة، وذلك لتساهل المجيزين في منحها، فالمتصوفة أصبحوا يبحثون عن السمعة وتكثير الأتباع أكثر من التزامهم بالشروط العلمية والأخلاقية المطلوبة في تلاميذهم (سعد الله أبو القاسم، 1998: 55)، إذ لم يعد هناك تحقق في كفاءة المجاز ودرايته بالعلوم، ولا من أخلاقه وسلوكه، فأصبحت الإجازة تمنح بالمراسلة والسماع، كما أنها أصبحت تعطى مطلقة في كل العلوم، وكل الكتب التي تعلمها المجيز سواء قرأها المجاز أم لم يقرأها.

يعتبر تبادل الإجازات الصوفية بين متصوفة الجزائر ونظرائهم بالمغرب الأقصى من أبرز مظاهر التواصل الصوفي بين البلدين في هذه الفترة، إذ لعبت الإجازات الصوفية دوراً هاماً في ربط العلاقات الثقافية والروحية بين متصوفة البلدين، ومن الصعب تتبع كل الإجازات التي تحصل عليها متصوفة الجزائر أو المغرب الأقصى، خلال هذه الفترة؛ لأن تلك التي تحصلوا عليها أو منحوها كثيرة جداً، لذلك سوف نختار نماذج من هذه الإجازات، والتي قسمناها إلى قسمين؛ الأول إجازات متصوفة الجزائر لنظرائهم من المغرب الأقصى، والثاني إجازات متصوفة المغرب الأقصى لنظرائهم الجزائريين:

1-1- إجازات متصوفة الجزائر لنظرائهم من المغرب الأقصى:

بحكم قرب الجزائر من المغرب الأقصى، ووجودها في طريق ركب الحج المغربي، زيادة على شهرة بعض علمائها ومشايخها، ومراكزها العلمية والصوفية، جعلها محطة ومقصداً للعديد من أهل العلم والتصوف المغاربة الذين تنقلوا لأخذ الإجازة عن نظرائهم الجزائريين،

وقد ورد في بعض المصادر نصوصًا لتلك الأجازات؛ نذكر بعضاً منها فيما يلي:

إجازة الشيخ أبو مهدي عيسى الثعالبي لعدد كبير من المغاربة، نذكر منهم أبي سالم العياشي الذي صافحه وشابكه، وأضافه بالأسودين التمر والماء، والمصافحة، وناوله السبحة، وألبسه الخرقة (العياشي أبي سالم، 1996: 169)، وكان العياشي من تلاميذ الشيخ عيسى الثعالبي، فقد لقيه أثناء تردده على الحج، إذ سمع منه جميع المرويات، وأجازه في جميع مروياته بإسنادها إلى جميع أشياخه، وقد أشار العياشي إلى ذلك بقوله: « ..فيما قرأت عليه بعضه، وأجازنيه وأذن لي فيه وناولنيه » (العياشي أبي سالم، 1996: 194).

كما أجاز الشيخ أبو مهدي الثعالبي عدد كبير من المغاربة، نذكر منهم الشيخ عبد الله العياشي ابن المجاهد محمد العياشي، الذي أخذ عنه في الحرمين الشريفين، وحصل على إجازة منه(حجي محمد، 1978: 448)، كما أجاز الشيخ الثعالبي الشيخ أحمد بن عبد القادر الفاسي (القادري محمد ين الطيب، 1977: 152).

وقد أجاز الشيخ أحمد التجاني شيخ الطريقة التجانية الشيخ محمد بن الطيب بنيس، ومما جاء في هذه الإجازة: « ... قال العبد الفقير إلى الله، أحمد بن التجاني لطف الله به، أجزنا لحبيبنا وصفينا الفقيه سيدي محمد بن الطيب بنيس في قراءة الفاتحة ببينة، وتلاوة الاسم الأعظم بتلاوتها وفي قراءة الحزب، وسندنا في ذلك عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأجزت له في قراءة سورة الإخلاص إحدى عشر مرة صباحا ومساء للتحصين من جميع الشرور والسلم... » (سكيرج الحاج أحمد، 1961: 229).

كما أجاز الشيخ أبو الجمال محمد بن عبد الكريم الجزائري الشيخ الصوفي أبو عبد الله محمد الصغير الفاسي في الحديث والتصوف، إذ

يقول: «... سمعت عليه أوائل الصحيحين، والمسلسل بالأولية وغير ذلك، وأجازني فيما له وما تحمل عن شيوخه، وأضافني على الأسودين الماء والتمر، وصافحني وشابكني، وناولني السبحة، وألبسنس الخرقة ولقنني» (الفاسي محمد الصغير، 2005: 131).

كما أثبت الشيخ أحمد بن عبد القادر عبد الوهاب التستاوي إجازة المشايخ الجزائريين له؛ وذلك بقوله: « ... فصل في ذكر بعض ما لنا من طرق المصافحة، صافحني الفقيه الشريف سيدي محمد بن عبد الكريم الجزائري... وأما المشابكة فقد شابكني السيد الشريف الجزائري المتقدم في السند المذكور إلى سيدي إبراهيم التازي قال شابكني، والمشتبكة بكتابة إجازة ابن ناصر الدرعي له، وتوقيعها من طرفه... » (الطريبق أحمد، 2003: 62).

ومن المراسلات التي يطلب فيها صاحبها الإجازة؛ الاستدعاء الذي تلقاه الشيخ أبو عبد الله محمد المهدي بن محمد المدعو الكتروسي سنة 1827م، من طرف الشيخ محمد التوهامي بن رحمون الفاسي، ومما جاء فيه: « ... وليكن في كريم علمك أنني أطلب من سيادتك إجازة تامة شاملة مطلقة عامة في جميع ما لديك من العلوم والأسرار والفهوم، والطرق الصوفية، والأحاديث، والمسلسلات إلى خير البرية تبركا بسندك العالي... »(لزغم فوزية، 2010: 255).

كما أجاز الشيخ محمد بن عبد الرحمان الزواوي الجزائري؛ شيخ الطريقة الرحمانية بالجزائر؛ الشيخ علي بن عيسى المغربي، ومما جاء فيها : « ... وقد أجزت العارف بالله تعالى... أعني القطب المهدي سيدي علي نجل سيدي عيسى، نفعنا الله به بجاه النبي الشفيع، أن يعطي أورادنا أي أوراد طريقتنا المباركة الخلوتية لكل المسلمين، كما اذن له شيخه أن يعطيها، ...وطلب مني الأخ المذكور أن أضع له سلسلة الطريق تبركا... » (مفتاح عبد الباقي، 2016: 65-67).

1-2- إجازة متصوفة المغرب لنظرائهم الجزائريين:

لقد كان البحث عن الإجازات والأسانيد الصوفية من أهم الأمور التي تجلت في سيرة العلماء والمتصوفة في هذه الفترة، ونظراً لشهرة الحواضر العلمية والصوفية بالمغرب الأقصى على غرار فاس ومراكش موطن أعلام التصوف المغربي، تنقل إليها الكثير من الجزائريين لأخذ الإجازة عن مشايخها، إذ أورد علماء ومتصوفة الجزائر نصوص تلك الإجازات، وأثبتوها في مؤلفاتهم، نورد بعضًا منها فيما يلي:

أورد الشيخ أحمد بن قاسم البوني الجزائري؛ أنه تحصل على إجازة من الشيخ أبو عبد الله محمد بن سليمان الروداني، إذ قال بشأنها : « ...وقرأت بعضه [صحيح البخاري] عليه...وأجاز لنا باقيه... وحضرته أيضا في سنن النسائي الصغرى.. وذلك بمكة المشرفة سنة 1092هـ/1681م »(البوني أحمد بن قاسم، 2013: 48)، كما يورد البوني سلسلة أسانيده في الطريقة الشاذلية؛ والتي تتصل بالعلامة علي بن عبد الواحد الأنصاري عن أحمد المقري، وسند كتاب الشفاء للإمام القاضي عياض بنفس سلسلة الإسناد.

كما قصد الشيخ محمد بن علي الشريف الجعدي الجزائري مدينة فاس سنة 1720م، للأخذ عن مشايخها، فاجتمع هناك بالشيخ محمد بن عبد الرحمان الفاسي، وطلب منه الإجازة بجميع ما فيها، فأجازه بذلك، وأجازه أيضا ان يُجيز بجميع ما فيها، ثم سمع منه حديث الرحمة المسلسل بالأولية، وحديث الضيافة، ثم أضافه على الأسودين التمر والماء، ولقنه وشابكه وناوله السبحة، وصافحه، وألبسه الخرقة، ثم ناوله أوائل الكتب الستة، فقرأها عليه وهو يسمع، ثم أول الموطأ، والجل من جامع الترميذي، والكثير من سنن ابن ماجة، ومسند الدرامي، ومفتاح الشفاء(الحفناوي محمد أبو القاسم، 1982: 543).

كما تحصل الشيخ محمد بن عبد الله أيوب التلمساني الملقب بالمنور على مجموعة من الإجازات العامة من مشايخ المغرب كالشيخ أبي العباس أحمد بن مبارك اللمطي، ومن الشيخ أبي عبد الله المسناوي، وذلك لما رح إلى فاس عام 1720م، كما اخذ عن الشيخ محمد بن حمدون بناني، ومن الشيخ أبي عبد الله محمد الصالح بن المعطي الشرقاوي، ومن الشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي الذي أجازه بفهرسته المنح البادية في الأسانيد العالية(لزغم فوزية، 2010: 233).

كما كان الشيخ عبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري كثير الترحال، حيث زار المغرب الأقصى مرتين؛ الأولى سنة 1732م، والثانية سنة 1743م، إذ التقى عددا من الشيوخ المغاربة ذكرهم في رحلته، وحضر دروسهم ومنهم من أجازه؛ كالشيخ أمحمد البناني الفاسي، والشيخ أحمد بن محمد الورززي، والشيخ احمد السرايري (شارف محمد، 2021: 116)، وقد أورد الشيخ ابن حمادوش نصوص إجازاته في رحلته، وهذا مقتطف من إجازة تحصل عليها من شيخه الورززي عام 1743م بمدينة تطوان : « الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله، يقول الفقير إلى الله تعالى أحمد بن محمد بن عبد الله الورززي دارا ومنشأ الديلمي الحميري نسبا،... إن الشريف الفاضل العلامة سيدنا ومولانا عبد الرزاق بن محمد بن أحمدوش الجزائري دارا ومنشأ، رغب أن يسمع مني ما سهل الله سبحانه من الحديث مما سمعته من أشياخي... فأسمعته بعض موطأ مالك بن أنس و... ، ورغبتي أيضا أن أجيزه في كل ما صحت لي روايته من مسموع ومجاز فأسعفته، فأجزته أن يروي عني الكتب الستة...» (ابن حمادوش عبد الرزاق، 1983:37).

وقد أورد الشيخ ابن حمادوش الإجازة المكتوبة التي سلمها له شيخه أمحمد البناني الفاسي، وأذن له فيها برواية ما سمعه عنه من

مقروء أو مسموع، وهذا مقتطف منها : «...فطُلب من هذا العبد الضعيف تقييد الإجازة له فيما سمعه وغيره ليكون ذخرا لخاطره... وأذنت له أن يحدث عني بكل ما سمعه مني أو بلغه عني من مؤلفات ... وشرحنا على الحزب الكبير لقطب الورى سيدي أبي الحسن الشاذلي، رضي الله عنه ونفعنا به، وشرحنا على الصلاة لمولانا القطب الأشهر مولانا عبد السلام بن مشيش نفعنا الله به، وغير ذلك مما جمعته او نظمته، إجازة تامة مطلقة عامة...» (ابن حمادوش عبد الرزاق، 1983 :40).

كما أخذ الشيخ الطاهر بن عبد القادر بن عبد الله المشرفي الجزائري إجازة عامة من الشيخ عبد القادر بن شقرون الفاسي، ومما جاء فيها :«... الحمد لله شرف الإنسان بعلمه ورقاه مراقاة عالية بفهمه ورفع قدره بلا قرار، وأنالـه مواهب جلت عن الإنحصار، والصلاة والسلام على أصل العلوم ومنبعها وبحر الكلمات ومشرعها مولانا ومولى كل مولى الذي لم تزل ولا تزول محاسنه تتلى محمد المحمود في الصدور والورود، وعلى آله وصحبه وذويه وحزبه، ها وقد أجزت المستدعى.... أمده الله بالعرفان وبالفتح ملكته بما قرأه علي من الكتب المسطورة وغيرها مما يحفظ ويستدعى، إجازة رابية عامة شافية، على قانونها المعروف وشرطها المقرر المألوف، حاثا له على تقوى الله العظيم في التعلم والتعليم، ومجانبة الدعوى ومخالفة الهوى والصدق فيما يا قل بلغنا الله كل مأمول، وان يدعو لي بصلاح الحال... والله يوفقنا وإياه لما يحبه ويرضاه، آمين بجاه النبي الأمين، وكتبه عجلا في 08 ذي القعدة 1208هـ عبد القادر بن أحمد بن العربي بن شقرون أمنه الله وتولاه»(بوكعبر تقي الدين، 2016 :66).

2- تبادل الزيارات بين متصوفة البلدين

لعبت الزيارات بين شيوخ وأتباع الطرق الصوفية دورا بارزا في تمتين الروابط والصلات بين الجزائر والمغرب الأقصى خلال هذه الفترة، وعملت على نشر أسس وأحوال التصوف، وساعدت على

استمرار التواصل الاجتماعي ببين سكان البلدين، فالتواصل الصوفي ساهم وبشكل كبير في خلق روابط اجتماعية بين أتباع الطرق الصوفية في كلا البلدين، إذ لم تمنع الأزمات والصراعات بين الحكام العثمانيين والسلاطين العلويين خلال هذه الفترة من استمرار التواصل الصوفي الاجتماعي بين السكان عبر تبادل الزيارات، والسياحات، وزيارة الزوايا، وأضرحة الأولياء(الخداري محمد، 2004-2005: 145).

وكثيرا ما نجد في تراجم العلماء والمتصوفة في هذه الفترة تكرارًا لبعض التعابير والكلمات مثل: شد الرحال لزيارة سيدي فلان، فلقي بعض الصلحاء من بلاد كذا، ليأخذ ورد الطريقة من سيدي قطب الأقطاب ، وهلم جرا، فالتصوف بالجزائر والمغرب الأقصى سواء من حيث أقطابه، أو نظمه الطرقية لا يخضع لإكراهات الجغرافيا السياسية سواء السلطانية القديمة أو الحديثة(الطيبي محمد، 2009: 63)، إذ نجد الكثير من الرحلات والزيارات والسياحات طويت فيها المسافات بحثا عن مهذبات للسلوك الصوفي، أو حتى لالتماس البركة من أرباب الزوايا وأوتاد الولاية. (بوترعة شهرزاد، 2014/2015: 77- 78).

وكان سفر واستقرار الناس في الجزائر والمغرب الأقصى من الأمور العادية في الحياة اليومية لساكنة البلدين، إذ تزخر كتب الرحلات والحوليات والمناقب بمعلومات كثيرة عن التواصل الصوفي الاجتماعي بين الجزائر والمغرب الأقصى في هذه الفترة، حيث دخل متصوفة البلدين في علاقات اجتماعية متينة وقوية، جمعت بين شيوخ ومريدي كل طريقة، عملا بالأسس التي وضعها مشايخ تلك الطرق؛ وهي الحث على كثرة الزيارات والسياحات (الخداري محمد، 2004/2005: 145).

فالشيخ مولاي العربي الدرقاوي جعل الزيارة من أهم ركائز طريقته الدرقاوية، فكان يحث مريديه على الزيارة بقوله : « جولوا في أقطار الأرض، فإن وجدتم مشربا أصفى وأعذب من مشربنا فأتوني

أذهب معكم إليه ونرده جملة، فإن مقصودنا الله ولا حظ لنا سواه» (الخداري محمد، 2015: 94)، كما كان الشيخ أحمد بن عجيبة الدرقاوي يحث أتباعه على الزيارة والسياحة، ومما جاء في إحدى أقواله :«لابد للفقير من السياحة في بدايته، لأن السفر يسفر عن العيوب، ويطهر النفوس والقلوب، ويوسع الأخلاق، وبه تتسع معرفة الملك الخلاق» (ابن عجيبة أحمد، 1990: 48)، ويضيف ابن عجيبة في أهمية الزيارة ولزومها لأتباعه بقوله : «لا مسافة بينك وبينه، حتى تطويها رحلتك، ولا قطعة بينك وبينه حتى تمحوها وصلتك» (ابن عجيبة أحمد، 1983: 102)، كما أباح الشيخ محمد الحراق لأتباعه الدرقاويين السفر والسياحة، لأنها في نظره تزيد في معارف وتجارب المريد، ولذلك كان يدفع بأصحابه في كثير من المناسبات الدينية إلى السفر(الخداري محمد، 2015: 94).

ومن أبرز الأمثلة عن التواصل الصوفي الاجتماعي بين الجزائر والمغرب الأقصى في هذه الفترة أن الشيخ أبي زيان المعسكري الجزائري كان دائم التردد على فاس وبني زروال، كما كان يسهر على شؤون عائلة شيخه العربي الدرقاوي بفاس مدة من الزمن(الخداري محمد، 2015: 100)، وقد زار شيخ الطريقة الدرقاوية مولاي العربي الدرقاوي الجزائر مرتين وهو في طريقه للحج، كما أمر الشيخ العربي الدرقاوي رفيقه محمد البوزيدي باللجوء إلى تلمسان خوفا عليه من رجال المخزن، ثم لحق به الهاشمي بن عجيبة (ابن عجيبة أحمد، 1990 : 58).

وقد كان الشيخ أحمد الخضر المعسكري الغريسي يقوم بالزيارات للمغرب، ففي سنة 1814م قام بزيارة قبر أبي درقة الجد الأكبر للشيخ العربي الدرقاوي بمنطقة الشاوية صحبة الفقيه عبد القادر الزدمي التلمساني، والشيخ عبد الله بن حوا الغريسي في سياحة كانت لهم هناك بإذن شيخهم العربي الدرقاوي (المعسكري أبو زيان محمد، د.س: 88)،

كما كان الشيخ محمد بن معروف يزور الشيخ العربي الدرقاوي ببوبريح في ركب من فقراء منطقته، وأبناء عمه أولاد سيدي بوشنافة، وكان يوصي أتباع الطريقة بزيارة الشيخ (المعسكري أبو زيان، د.س: 90)، كما كان مقدم الطريقة الدرقاوية بالجزائر عبد القادر بن الشريف دائم التردد على الشيخ العربي الدرقاوي، حيث كان يزوره مرة في السنة في ركب من أصحابه، ويصحب معه الهدايا المتكونة من الإبل والبغال والفرش والنقود والحلي وغير ذلك.

كما قضى الشيخ أحمد التجاني شيخ الطريقة التجانية أكثر من عشرين عاما في الترحال والتردد على العلماء، وشيوخ التصوف وأخذ أورادهم، إذ زار العديد من البلدان، ومنها المغرب الأقصى، وبالخصوص مدينة فاس لما كانت لها شهرة بفضل علمائها وشيوخها، فكانت زيارته الأولى لفاس عام 1758م(حرازم برادة علي، 1963: 34)، حيث التقى الشيخ أحمد التجاني بالشيخ الطيب الوزاني شيخ الطريقة الطيبية الذي أذن له بتلقين ورده، كما التقى بالشيخ محمد بن عبد الله التازي الذي أخذ عنه مبادئ الطريقة الناصرية، كما التقى بالشيخ أحمد الصقي أحد شيوخ الطريقة الخلوتية، كما التقى بالشيخ محمد بن الحسن الونجلي الذي أشار عليه بالرجوع إلى بلده (سعد الله أبو القاسم، 1998: 510)، أما زيارته الثانية لفاس فكانت عام 1777م، وفي طريقه لها التقى بعلي حرازم برادة في منطقة وجدة، إذ توجه معا إلى فاس أين لقنه الطريقة الخلوتية، بعدها عاد الشيخ التجاني إلى تلمسان وأقام بها زاهدا عابدا.

وقد اضطر الشيخ أحمد التجاني سنة 1798م للهجرة إلى المغرب الأقصى بعد مضايقة الحكام العثمانيين له، إذ استقبله السلطان سليمان بحفاوة كبيرة في فاس، والتي استقر فيها لأكثر من سبعة عشر سنة(مفتاح عبد الباقي، 2016: 143)، ولم يركن الشيخ للراحة في فاس بل كان يسعى لنشر طريقته في العديد من المدن المغربية، كما لم يقطع الشيخ التجاني اتصاله بأهله وأتباعه بالجزائر، إذ قام بزيارة لعين ماضي

عام 1809م قادما من فاس، وذلك لزيارة قبر صاحبه محمد بالمشري(حناي محمد، 2014/2013: 64)، كما قام بزيارة أخرى عام 1813م لأهله وأتباعه بالجزائر، وكان عازما على أن يعقد الرحلة إلى وادي ريغ ووادي سوف إلا أنه توقف عند العسافية، ثم قفل راجعا لفاس(حناي محمد، 64)، غير ان الشيخ التجاني منع أتباع طريقته من زيارة غيره من الأولياء حتى وإن كانوا أمواتاً (المنصور محمد، 2006: 289).

وقد كانت الوفود التجانية تتردد على الشيخ التجاني من الجزائر وهو بفاس، إذ كان الشيخ علي التماسيني يفد سنة بعد سنة لزيارة شيخه حتى بلغ عدد هذه الزيارات أربعة عشر زيارة، وقد أصبح الشيخ علي التماسيني هو الذي يرأس الوفد التجاني إلى فاس بعد سنة 1790م (حناي محمد، 2014/2013: 66)، وكانت آخر زيارة للوفد التجاني المتكون من الشيخ علي التماسيني، والشيخ عبد الله بدة القماري، والشيخ الطاهر بن عبد الصادق، والشيخ أحمد بن سلمان التغزوتي، وأشخاص آخرين سنة 1815م (مفتاح عبد الباقي، 2016: 145)، حينما استدعاهم الشيخ التجاني لما أحس بدنو أجله، وأخبرهم بأن الشيخ علي التماسيني هو خليفته الأكبر على الطريقة التجانية، وامره بترحيل أولاده وأهله إلى عين ماضي، وقد عاد الشيخ علي التماسيني إلى فاس عام 1816م لينفذ وصية شيخه، ويعيد أبناؤه إلى بلدهم عن ماضي (الناصري أبو العباس أحمد بن خالد، 1997: 225).

لم تقتصر الزيارات على الشيوخ والعلماء لطلب السند أو أخذ الورد فقط، بل سجلت بعض الزيارات للشيوخ والأولياء من أجل التبرك، وقد كانت زيارة الأضرحة ومقام كبار مشايخ الصوفية والمرابطين للتبرك ظاهرة ملحوظة في الجزائر والمغرب الأقصى على حد سواء خلال هذه الفترة، وكانت لا تقتصر على عامة الناس فقط بل تشمل أيضا الفئة المثقفة منهم، (بن خروف عمار، 2008: 116).

فمن ركب الحجيج المغربي كانت تنطلق زيارات للأولياء والصلحاء الأحياء منهم والأموات من أجل الدعاء والتبرك، وبما أن الجزائر كانت على طريق الركب فقد كان المغاربة يزورون من اشتهر بالصلاح بالجزائر، ومن المزارات التي كانت مقصدًا يأتيها الجزائريون والمغاربة متخذين منها محطات رئيسية في ركب الحج المغربي: ضريح سيدي أبي مدين شعيب بتلمسان، وضريح سيدي خالد، وضريح سيدي عقبة، وضريح سيدي عبد الرحمان الأخضري ببسكرة. (بن خروف عمار، 2008: 116).

وقد وردت إشارات كثيرة في الرحلات الحجازية المغربية حول كثرة المزارات بالجزائر، وقد ذكر أبو الطيب الشرقي زياراته لهذه المقامات رفقة الحجيج، ففي رحلته الحجازية عام 1726م أورد أنه زار روضتي الشيخ محمد العمري الملقب بمولى الخلوة، وروضة الشيخ عبد الرزاق المجلد وهما من صلحاء منطقة مشرية بنواحي البيض، وقد عبر عن حسرة الحجاج لعدم تمكنهم من زيارة ضريح سيدي عقبة، إلا أن في طريق العودة زار الركب ضريح سيدي عبد الرحمان الأخضري، حيث قابله الحجاج المغاربة بنية الزيارة والتبرك، كما قال صاحب الرحلة (بن قايد عمر، بوسليم صالح، 2015: 270).

وقد ذكر أحمد بن ناصر الدرعي في رحلته الحجازية زيارته رفقة الحجيج المغاربة للعديد من الشيوخ والأولياء الأحياء منهم والأموات، إذ أورد أن الحجاج زاروا أحد شيوخ منطقة أم الغرار القبلية ؛ وهو الشيخ سيدي محمد بن أبي نوة وإخوته، كما نزل الركب ببوسمغون حيث استضافهم شيخها بن المرابط المفتاحي (الدرعي أبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر،2011: 127)، وبمنطقة الغاسول التقى الركب بالشيخ سيدي عبد الكريم التواتي، ولما وصل الركب إلى عين ماضي زار مجموعة من الحجاج المغاربة كبير شيوخها وهو سيدي أحمد بن الدهسي وأبنائه سيدي عبد الرحمان وسيدي محمد وسيدي زروق، ولما وصلوا إلى الأغواط فقد زاروا بعض مشايخها

أمثال: سيدي محمد بن قسمية، وسيدي أحمد بن إدريس، وغيرهم، وفي أولاد جلال زاروا شيوخها كسيدي محمد بن الحاج، وسيدي محمد بن عيسى، وغيرهما، ولما نزل الركب زريبة الوادي زار الحجاج شيوخها كسيدي أحمد بن عمرو، وسيدي عبد الحفيظ بن الطيب، ومن المزارات التي زارها الحجاج المغاربة وذكرها الدرعي؛ ضريح سيدي عقبة، زاوية سيدي ناجي، قبة سيدي حسن الكوفي، ضريح سيدي عبد الرحمان الأخضري، زاوية سيدي حرزالله (الدرعي أبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر، 2011: 159).

وفي رحلة أبي العباس الهلالي السجلماسي إشارات عديدة لزيارات الأولياء والصلحاء الأحياء منهم والأموات، وقد ذكر أن ركب الحجاج المغربي نزل بالقنادسة ، وزاروا الشيخ أبو عبد الله سيدي محمد بن محمد بن أبي زيان، والذي أسندت إليه مهام الزاوية بعد وفاة والده عام 1732م، وفي منطقة فجيج زار الركب الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمان صاحب زاوية كرزاز الجزائرية، ويشير صاحب الرحلة أن حجاج الركب زاروا في منطقة بوسمغون سيدي محمد الصديق (السجلماسي أحمد بن عبد العزيز بن الرشيد، 2012: 133-163).

كما ذكر الحضيكي في رحلته الحجازية عام 1739م أن الركب السجلماسي مر على منطقة الزاب، وأنه زار خلوة وضريح سيدي عبد الرحمان الأخضري، وضريح سيدي عقبة، وذكر أنه قبر مُزار (الحضيكي أبي عبد الله محمد بن أحمد، 2011: 85).

ولم يكن التبرك مقتصرا على الحجاج المغاربة فقط، فهناك من تنقل بين الجزائر والمغرب الأقصى من أجل التبرك لكن خارج إطار الركب، ومن أشهر متصوفة المغرب الذين زاروا ضريح أبي مدين شعيب بتلمسان؛ الشيخ أحمد بن عبد الله الدلائي الذي هُجر من بلده إلى تلمسان (حجي محمد، 1988: 257)، ومن العلماء المغاربة الذين زاروا الأضرحة بالجزائر؛ أبو القاسم الزياني الذي أكد في كتابه

الترجمانة أنه توقف بالعُباد ليعتكف بحضرة القطب أبي مدين شعيب، حيث قال: «...ونزلت بجوار أبي مدين بالعُباد، واخترت العزلة عن العباد...»(الزياني أبو القاسم، 1991: 144)، ومن أبرز المثقفين المغاربة الذين زاروا من اشتهر بالصلاح والولاية بالجزائر نجد عبد الرحمان الجامعي الذي اختار زيارة كل الأولياء بمدينة الجزائر، حيث ذكرهم في رحلته بقوله: «...وأولياؤها المشهورون بها المتبرك بزيارتهم، وأنا أتبرك بعدتهم إن شاء الله...»، ثم ذكر الأولياء والصالحين من دفنوا بالجزائر بني مزغنة (الحفناوي أبو القاسم، 1982: 412).

الخاتمة:

ومما تقدّم، يمكن القول:

أن التواصل الصوفي بين الجزائر والمغرب الأقصى خلال عهد دايات الجزائر، ومن عاصرهم من سلاطين المغرب الأقصى العلويين قد ساهم في تمتين العلاقات الثقافية بين البلدين، وذلك بالرغم من الخلافات السياسية بين حكامهما، إلا أن التواصل الصوفي ظل قائما، بل وأصبح بمثابة المحرك الفعال والمثمر للتبادل والتفاعل الثقافي بينها، وذلك عن طريق تبادل الإجازات والأسانيد الصوفية.

من خلال عرضنا نماذج لبعض الإجازات المتبادلة بين متصوفة الجزائر والمغرب الأقصى يتضح لنا أن ذلك النسيج الذي ربط متصوفة البلدين من خلال شبكة صوفية وعلمية قد تجاوز الحدود السياسية والجغرافية في مجال التفاعل بينها، وذلك بطلب الإجازة والإسناد أينما وجدت في البلدين، كما أن هذه الإجازات لم تقتصر على التصوف فقط؛ وإنما شملت أغلب العلوم الدينية من فقه وحديث.

أن التواصل الصوفي بين الجزائر والمغرب الأقصى في هذه الفترة قد ساهم إسهاما روحيا في استمرار وتمتين العلاقات الاجتماعية بين ساكنة البلدين، وذلك من خلال تكثيف التواصل الاجتماعي بين

الشيوخ والمريدين والأتباع في كلا البلدين، وذلك عن طريق تبادل الزيارات والسياحات، وتنشيط الروابط الاجتماعية بينهم.

قائمة المراجع:

ـ ابن حمادوش، عبد الرزاق، (1983)، **لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب** والحال، تقديم وتحقيق أبو القاسم سعد الله، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
ـ ابن عجيبة، أحمد، (1983)، **الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية**، تحقيق عبد الرحمان حسن محمود، القاهرة: دار عالم الفكر.
ـ ابن عجيبة، أحمد، (1990)، **الفهرسة**، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان، ط1، القاهرة: دار الغد العربي.
ـ البوني، أحمد بن قاسم، (2013)، **ثبت أحمد بن قاسم البوني**، تحقيق محمد شايب شريف، الجزائر: منشورات تالة.
ـ الحضيكي، أبي عبد الله محمد بن أحمد، (2011)، **الرحلة الحجازية**، تحقيق عبد العالي لمدبر، ط1، الرباط: دار الأمان للنشر والتوزيع.
ـ الحفناوي، أبو القاسم، (1982)، **تعريف الخلف برجال السلف**،ط2، ج2، تونس: مؤسسة الرسالة.
ـ الخداري، محمد، (2004- 2005)، **دور الزوايا والطرق الصوفية في العلاقات بين المغرب وولاية الجزائر حالة الزاوية الدرقاوية من 1786م إلى 1823م**، أطروحة دكتوراه غير منشورة في التاريخ ، جامعة محمد الخامس بالرباط المغرب.
ـ الخداري، محمد، (2015)، « درقاوة والتواصل الاجتماعي والثقافي بين المغرب والجزائر نهاة القرن 18 وبداية القرن 19م ». ورقة عمل مقدمة إلى **أشغال الأيام الوطنية الثانية والعشرون- مجالات الجوار المغربي- استحضار لماض تواصلي عريق**، الجمعية المغربية للبحث التاريخي وكلية الآداب والعلوم الإنسانية بوجدة، المجلد: 2015، وجدة: الجمعية المغربية للبحث التاريخي.
ـ الدرعي، أبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر، (2011)، **الرحلة الناصرية**، تحقيق عبد الحفيظ ملوكي، ط1، الإمارات العربية المتحدة، دار السويدي للنشر والتوزيع.
ـ الزياني، أبو القاسم، (1991)، **الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا**، تحقيق عبد الكريم الفيلالي، الرباط: دار نشر المعرفة.
ـ السجلماسي، أحمد بن عبد العزيز بن الرشيد، (2012)، **التوجه لحج بيت الله الحرام وزيارة قبره عليه الصلاة والسلام**، تحقيق محمد بوزيان بنعلي، ط1، وجدة: مطبعة الجسور.
ـ الطريبق، أحمد، (2003)، **الكتابة الصوفية في أدب التستاوي(1045-1127هـ)**، ط1، الرباط: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

- الطيبي، محمد (2009)، **الجزائر عشية الغزو الإحتلالي، دراسة في الذهنيات والبنيات والمآلات**، ط1، الجزائر: ابن النديم للنشر والتوزيع.
- العياشي، أبي سالم، (1996)، **اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر** ، تحقيق نفيسة الذهبي، الدار البيضاء:مطبعة النجاح الجديدة.
- الفاسي، محمد الصغير، (2005)، **المنح البادية في الأسانيد العالية والمسلسلات الزاهية والطرق الهادية الكافية**، تحقيق محمد الصقلي الحسني، ط1،ج1، الرباط: دار أبي الرقراق للطباعة والنشر.
- القادري، محمد بن الطيب، (1977)، **نشر المثاني لأهل القرن الحادي والثاني**، تحقيق : محمد حجي ، أحمد التوفيق، ج3، الرباط: دار المغرب.
- المعسكري، أبو زيان محمد، (د . س)، **كنز الأسرار في مناقب مولانا العربي الدرقاوي وبعض أصحابه الأخيار**،مخطوط 2339 ، الرباط: الخزانة العامة.
- المنصور، محمد، (2006)، **المغرب قبل الاستعمار، المجتمع والدين والدولة(1792-1822م)**، ترجمة محمد حبيدة، ط1، الدار البيضاء:المركز الثقافي العربي.
- الناصري، أبو العباس أحمد بن خالد، (1997)، **الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى**، تحقيق جعفر الناصري، محمد الناصري، الدار البيضاء:دار الكتاب، ج3.
- بن خروف، عمار، (2008)، **العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر هجري السادس عشر ميلادي**، الجزائر: دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، ج2.
- بن قايد، عمر، بوسليم، صالح، (2015)، « الأضرحة والمزارات في الجزائر العثمانية من خلال كتب الرحلات ». **مجلة العلوم الإنسانية والإجتماعية**، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، العدد: 21، ص. ص 267- 278.
- بوترعة، شهرزاد، (2015/2014)، **الحضور المغاربي في الجزائر خلال العهد العثماني**، رسالة ماجستير غير منشورة في التاريخ المغاربي الحديث والمعاصر، جامعة محمد بوضياف المسيلة، الجزائر.
- بوكعبر، تقي الدين، (2016)، « صور من التواصل الثقافي والعلمي بين الجزائر والمغرب خلال العهد العثماني، إجازة عامة من الشيخ شقرون الفاسي المغربي إلى الشيخ الطاهر المشرفي الجزائري ».**قضايا تاريخية**، مخبر الدراسات التاريخية المعاصرة، المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة، العدد:4 ، ص. ص 62 - 71.
- حجي، محمد، (1978)، **الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين**، ج2، المغرب: مطبعة فضالة.
- حرازم برادة، علي، (1963)، **جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض أبو العباس التجاني**، ج1، مصر: شركة إلياس الحلبي وأولاده.

- حناي، محمد، (2014/2013)، **الحياة الثقافية في زاوية تماسين التجانية (1803-1954)**،رسالة ماجستير غير منشورة في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الوادي، الجزائر.
- سعد الله، أبو القاسم، (1998)، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ط1،، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ج2.
- سكيرج، الحاج أحمد بن الحاج العياشي، (1961)، **كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب**، ج2، المغرب: المطبعة المهدية.
- شارف، محمد، (2021)، « الإجازة في رحلة ابن حمادوش». **مقاليد**، مخبر النقد ومصطلحاته، كلية الآداب واللغات، جامة قاصدي مرباح ورقلة، المجلد:7، العدد:2 ، ص. ص 107 - 128.
- لزغم، فوزية، (2010)، **الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية**، الجزائر: دار سنجاق الدين للكتاب.
- مفتاح، عبد الباقي، (2016)، **نظرات حول الطريقة الرحمانية الخلوتية**، ط1، إربد، الأردن: عالم الكتاب الحديث.

الناصرية
الناصرية